من أجل ثورة دائمة عبر شمال أفريقيا!

مصر: انتفاضة جماهيرية تتحدى الدكتاتورية

تسقط المعونة الأمريكية لمصر وإسرائيل!

من أجل أحزاب عمالية ثورية!

المقال التالى ترجمة عربية لمقال نشر بصحيفة "طليعة العمال" رقم ٩٧٣ بتاريخ ٤ فبراير ٢٠١١. "طليعة العمال" هى لسان حال العصبة الأسبارتاكية بالولايات المتحدة الأمريكية, فرع العصبة الشيوعية الأممية (رابعة أممية).

*****

١ فبرائر ٢٠١١– فيما نتأهب للننشرفأن نظام حسني مبارك البونابارتي الرأسمالي, والدولة العميلة والمهمة استراتيجياً للإمبريالية الأميركية, يترنح في وجه موجة من الاحتجاجات الجماهيرية لم يسبق لها مثيل. يهتف المحتجونٍ في ميدان التحرير وفي أرجاء البلاد: "الشعب يطالب بسقوط النظام." لم يؤدي تعيين مبارك في الأسبوع الماضي لطاقمٍ جديدٍ من الوزراء، وتسمية أصدقاء حميمين وقادة عسكريين سابقين مثل نائب رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء، إلا إلى إذكاء مزيد من لهب المعارضة لدكتاتوريته.

لقد احتشد ما يزيد عن مليون فرد في ميدان التحرير اليوم، بينما تظاهر مئات الآلاف في الإسكندرية والسويس ومدن أخرى في إضرابات عن العمل . والليلة عندما أعلن مبارك الليلة عن "تنازله": لن يترشح لإعادة انتخابه في الخريف القادم(!). هتفت الجموع المحتشدة في ميدان التحريربغضب رداً على ذلك: "مش حنمشي!"

لقد قدر أحد مسؤولي الأمم المتحدة عدد القتلى بـ ٣٠٠ فرد وعدد الجرحي بـ ٣ ,٠٠٠ منذ انفجارالاحتجاجات في ٢٥ يناير. وعلى الرغم من ذلك، تغلبت المظاهرات الضخمة خلال بضعة أيام على صفوف الشرطة في عدد من المدن وقلص عدد لا يحصى من مراكز الشرطة اضافة الي المقر الرئيسى للحزب الوطني الديموقراطي الحاكم فى القاهرة إلى أنقاض محترقة. انسحبت الشرطة المكروهة على نطاق واسع من الصورة مؤقتا، لكن أعيد نشرها بعد ذلك. لقد قامت الحكومة المهتزة بحشد الجيش, الجهاز البونابارتي الأساسي للدولة المصرية فى محاولة للسيطرة على الشارع. لقد أعلن الجيش رسمياً أنه لن يطلق النار على المتظاهرين. لكن حذار من الوقوع فى ذلك الفخ: فما زال هناك خطر منذر، فبغض النظر عما قد يحدث لمبارك فأن حكام مصر البورجوازيون سيطلبون إجراء قمع عسكري شرس لإستعادة "النظام" الرأسمالي والأبقاء عليه.

لقد جذبت الانتفاضة عملياً كل شرائح المجتمع من الشباب العاطلين عن العمل وطلاب الجامعات والعمال والتجارالى المهنيين. وتتمثل مطالبهم بشكل عام برحيل مبارك وإجراء انتخابات ديموقراطية وإصلاحات أخرى. لقد أوجد هذا الوضع فرصة لحركة الإخوان المسلمين الرجعية التي امتنعت في البداية عن المشاركة في المظاهرات ولكنها طلبت من أتباعها الانضمام إليها يوم الجمعة ٢٨ يناير. لقد أدى إغلاق الموانئ والبنوك والأعمال الأخرى الى التعطل التام للاقتصاد بينما ارتفعت بحدة أسعار المواد الغذائية الشحيحة. أما الأغنياء الفاحشون القابعون على القمة فقد احتموا وراء بوابات دورهم الفخمة أو بدأوا بالسفر إلى دبي .

مما لا شك فيه أن الولايات المتحدة والقوى الإمبريالية الأخرى قد هزتها الأحداث الدرامية في مصر, أكثرالبلدان العربية تعداداً للسكان وذات التركيز الأكبر للطبقة العمالية في شمال أفريقيا والشرق الأدنى. ان الإمبرياليون المتغطرسون الذين يتصرفون وكأن لا شيء يمكن أن يقف في وجه جماحهم في كافة أرجاء العالم, يواجهون الآن تهديدات لبقاء أنظمتهم العميلة الأساسية. ان إدارة أوباما تسعى حثيثاً لكبح جماح الاضطرابات في شمال أفريقيا ومنع انتشارها إلى نطاق أوسع. لقد شهد الأردن واليمن، المخفران الأماميان ل"حرب واشنطن على الإرهاب"، مظاهرات صاخبة ضد الحكومة سيطرت عليها الحركات الاسلامية المعارضة. لقد أقال الملك الأردني عبد الله حكومته اليوم . وفي أثناء ذلك خرجت تظاهرات طلابية في السودان. ان الملاحظ بصفة خاصة بالنسبة للأحتجاجات الجماهيرية في كل من تونس ومصر، هو أنه في منطقة طالما هيمن فيها ولفترة طويلة الصراع الديني والعرقى، فان الأحتجاجات تركزت حول مطالب علمانية وديموقراطية مدفوعة وبشكل متزايد بظروف الحياة التي لا تطاق.

أن الحركة الجماهيرية الاحتجاجية التي أطاحت بدكتاتورية زين العابدين بن علي في تونس هى الشرارةَ المباشرةَ التي أد ت الى التصاعد المفاجئ في مصر. ولكن كان هناك كم كاف من الحراق الاجتماعي الجاهز للاشتعال. فبينما يعيش نصف سكان مصر تقريباً على دولارين أو أقل في اليوم الواحد، فقد شهدت السنوات القليلة الماضية موجةعارمة من النشاط الإضرابي بينما تفشت البطالة بشكل مريع حتى قبل اندلاع الأزمة المالية العالمية الحالية, بينما تتميز المناطق الريفية، خاصة في جنوب

مصر ودلتا النيل الشمالية، بفقر مدقع حيث يعاني الفلاحون الذين لا يملكون أرضا تحت رحمة ملاك الأراضي عديمي الشفقة ويستشري الفساد الفاحش وسط النخبة الحاكمة ، كما تُواجه أشكال التعبير عن السخط باستمرار بالقمع البولوسي الوحشي والتعذيب والسجن.

لقد أدى تفكك دكتاتورية مبارك إلى وضع رعاتها الإمبرياليين في الولايات المتحدة في حالة أزمة. فواشنطن تضخ سنوياً ٣ ,١ مليار دولار من المساعدات العسكرية للنظام الذي يحتل موقع ثاني أكبر متلق لدعم الولايات المتحدة بعد إسرائيل. أن مصر تمثل محورا أساسيا لمصالح الولايات المتحدة الإمبريالية في الشرق الأدنى وبشكل خاص منذ عام ١٩٧٩ حين أصبحت مصر أول دولة عربية توقع معاهدة سلام مع إسرائيل. لقد لعب النظام المصري ومنذ فترة طويلة دورالشريك للدولة الصهيونية في قمع الشعب الفلسطيني حيث يتم ذلك حالياً من خلال القيام بدور الشرطى لضبط الحدود الجنوبية لقطاع غزة . **تسقط المعونة الأمريكية لمصر وإسرائيل! دافعوا عن الشعب الفلسطيني!**

بعد وصفها لنظام مبارك بـ "المستقر" عند بدء المظاهرات الاحتجاجية, اضطرت وزيرة الخارجية هيلاري كلنتون لتغيير نهجها بعد اتساع نطاق الأنتفاضة الجماهيرية متحدثة عما أسمته "الحقوق الشاملة للشعب المصري." بالكاد هدأ ذلك غضب المتظاهرين الذين ابرز كثير منهم للصحفيين قوارير الغاز المسيل للدموع التى تحمل علامة "صنع في الولايات المتحدة". بينما تتحدث واشنطن اليوم عن "انتقال منظم" للسلطة، فانها تقوم فى ذات الوقت بوضع "ترتيبات نهائية لإجلاء آلاف المواطنين الأميركيين إلى ملاذات آمنة في تركيا واليونان وقبرص" وفقا لصحيفة "الفاينانشيال تايمز" بتاريخ ٣١ يناير. ان الشخصية "الانتقالية" التي يُروَّج لها كثيراً هي محمد البرادعي البورجوازي الليبرالي الذي ساعد فى وضع اتفاقيات كامب ديفيد التي ادت لتطبيّع العلاقات بين مصر وإسرائيل، وفيما بعد ترأس البرادعي الوكالة الدولية للطاقة الذرية حيث ساعد على ضمان نزع سلاح عراق صدام حسين في وجه الاستعدادات الحربية للولايات المتحدة.

على الطبقة العاملة أن تأخذ زمام المبادرة

أن المطلوب في مصر اليوم بصورة عاجلة هو أن تبرز البروليتاريا القوية, الطبقة الوحيدة ذات القوة الاجتماعية والقادرة على الإطاحة بالنظام الرأسمالي الوحشي العاجز, كقائد للجماهير المسحوقة. ان الانتفاضة الحالية تأتي وسط موجة من الإضرابات امتدت لسنوات طويلة وصفها المؤرخ جويل بينن بأنها كانت "أكبر حركة اجتماعية شهدتها مصر منذ أكثر من نصف قرن" (أنظر دراسة "النضال من أجل حقوق العمال في مصر"، بتاريخ فبراير ٢٠١٠). فوفقاً لدراسته بلغ متوسط عدد الاضرابات والاعتصامات في أماكن العمل ١٩٤ إضراباً في السنة من عام ٢٠٠٤ إلى عام ٢٠٠٨، أي ما يقرب من أربعة اضعاف معدل السنوات الثلاث السابقة.

لقد بدأ الارتفاع الحاد فى معدل احتلال المصانع والإضرابات والمظاهرات في عام ٢٠٠٤ عندما زادت الحكومة من وتيرة خصخصة المؤسسات المملوكة للدولة. وكان رأس الحربة فى هذه الحركة عمال مصانع الغزل والنسيج في المحلة الكبرى التي تمثل أكبر مجمع صناعي في البلاد حيث يعمل فيها نحو ٤٠ ,٠٠٠ عامل. في أبريل عام ٢٠٠٨عام، عندما تذمر الشعب من التصاعد الحاد لأسعارالأغذية, درأت الشرطة إضراباً كان مخططاً، باستعراض هائل للقوة. أدى ذلك إلى يومين من الشغب قتل فيهما ثلاثة أفراد بنيران الشرطة. وبعد أن منحت الحكومة العمال علاوة صرح مستشار مقرب من مبارك بغطرسة وسخف لصحيفة" واشنطن بوست" بتارخ ٢٧ سبتمبرعام ٢٠٠٩ : "بمجرد أن تعطي هؤلاء مالاً أكثر, ينتهي الأمر."

دخل عمال المحلة الكبرى فى اضراب عن العمل في ذات اليوم الذي بدأت فيه الاحتجاجات الحالية، معارضين النظام بشكل مباشرلأول مرة منذ بدء موجة الإضرابات. كذلك أضرب عن العمل منذ البداية عمال مدينة السويس، الميناء الساحلية التي تضم أيضا مركزا لتكريرالبترول حيث لم تبدي الشرطة أية شفقة في محاولتها لقمع الاحتجاجات. فكما اشارت منصورة عزالدين في صفحة الآراء في صحيفة "نيويورك تايمز" بتاريخ ٣١ يناي الى رسالة من صديق تصف السويس كمنطقة حرب قائلة: "ان شوارع المدينة قد أحرقت ودمرت وتتناثر جثث القتلى في كل مكان." ولكن الطبقة العاملة في المدينة قاومت ببسالة.

ان القتالية الفذة للعمال المصريين كثيراً ما اصطدمت بخيانة مسؤولي الاتحاد العام لنقابات عمال مصرالذين اشتراهم النظام وقام بدمجهم فى جهاز الدولة الرأسمالية. فعند تأسيس الاتحاد في ١٩٥٧عام الذي اصبح فيما بعد الاتحاد العام لنقابات عمال مصر تم تعيين كل قياداته من قبل نظام الزعيم القومي البورجوازي جمال عبد الناصر. لأكثر من عقدين من الزمان شغل رئيس الاتحاد العام لنقابات عمال مصر منصب وزيرالعمل. واليوم، فان كل عضو في اللجنة التنفيذية للاتحاد العام للنقابات هو عملياً عضو في الحزب الوطني الديموقراطي الحاكم بينما يحتل رئيس الأتحاد حسين مجاور منصب رئيس الكتلة البرلمانية للحزب الوطني الديموقراطي كما يرأس فى ذات الوقت اللجنة البرلمانية للقوى العاملة. في الأسبوع الماضي أصدرمجاور تعليماته للمسؤولين النقابيين لدرء أية مظاهرات عمالية، وفي يوم ٢٥ يناير عندما كانت الشرطة تطلق النار على المتظاهرين أصدر مجاور بياناً هنأ فيه وزارة الداخلية بـالأحتفال ب"يوم الشرطة"!

في سياق موجة الاضرابات الأخيرة تحدى العمال المصريون القياديين النقابيين, وكلاء النظام فى الحركة العمالية. بما أن

القانون يستوجب الحصول على موافقة قيادة اتحاد النقابات على الاضرابات فان كل إضراب وقع غير قانوني. ان العمال كثيراً ما قاموا بانتخاب لجان إضراب كقيادة عادة ما ترفع مطلب تكوين نقابات مستقلة. يشير هذا إلى إمكانية كامنة لبروز أجهزة واسعة لنضال الطبقة العاملة من داخل الاضطرابات السياسية الراهنة، مثل لجان المصانع وحراس دفاع عمالية بلأضافة الى لجان الأحياء للإشراف على توزيع الأغذية وتنظيم الدفاع الذاتي ضد سفاكي الشرطة وشركائهم المجرمين. ان كل هذا يؤكد الحاجة الى النضال من أجل استقلالية الطبقة العاملة من الدولة الرأسمالية وكافة القوى السياسية البرجوازية.

من أجل حزب لينيني طليعي!

كما هو الحال في تونس، فان المطلوب في مصر هو تكوين حزب ثوري يستطيع قيادة النضال من أجل حكومة عمال وفلاحين. من شأن هذا الحزب أن يكون على حد قول القائد البلشفي ف. ا. لينين "منبر الشعب،" مناضلا ضد اضطهاد الفلاحين والنساء والشباب والمثليين والأقليات العرقية والدينية.

سوف يدافع الحزب اللينيني الطليعي عن تحريرالمرأة في مصر حيث تتفشى ممارسات "جرائم الشرف" وتشويه الأعضاء التناسلية للإناث خاصة في المناطق الريفية التي يعيش فيها حوالي ٦٠ بالمئة من السكان. وسوف يدافع الحزب أيضا بنشاط عن حقوق الأقلية المسيحية القبطية التى تعانى من التمييز والقمع العنيف على يد الدولة يساعدها فى ذلك تحريض دعاة المذابح من الأصوليين الإسلاميين. في شهر ديسمبرالماضى، عندما احتج الأقباط على رفضِ الحكومة السماح لهم ببناء كنيسة في القاهرة، لقى اثنان منهم حتفهم برصاص شرطة مكافحة الشغب. أعطى ذلك الضوءَ الأخضرَ لتفجير كنيسة في الإسكندرية في ليلة رأس السنة الجديدة مما أدى إلى مقتل ٢٣ شخصاً. وعندما سيرت مظاهرات احتجاج مشتركة من الأُقباط والمسلمين ضد التفجيرقامت شرطة مكافحة الشغب بمهاجمتها.

تتثمل إحدى المهام الأساسية للماركسسين الثوريين في مكافحة الأيديولوجية القومية الواسعة الانتشار التي يمكن ملاحظتها وسط المتظاهرين وهم يرفعون الأعلام المصرية ويحتضنون الجيش كصديق مزعوم للمستغلين والمضطهدين. لقد تعاطف كثير من الجنود في الجيش المكون من المجندين مع المتظاهرين حتى أنهم سمحوا لهم بطلاء الشعارات المناوئة لمبارك على الدبابات. لكن أصحاب الرتب العسكرية الأعلى الذين تلقوا الدعم والتدريب من قبل إمبرياليي الولايات المتحدة هم الممارسون الحقيقيون للسلطة.

ان الأوهام في الجيش ذات جذورعميقة في مصر حيث أطاح الضباط العسكريون بقيادة ناصر في عام ١٩٥٢ بالنظام الملكي الممقوت والمدعوم من قبل بريطانيا. بينما ادعى ناصربدعم من الحزب الشيوعي الستاليني قيادة خرافة "الاشتراكية العربية" فقد هدف منذ البداية لسحق الطبقة العاملة المناضلة. فبعد شهر واحد من استيلائه على السلطة استغل ناصر إضراباً في مصنع كفر الدوار للغزل والنسيج قرب الإسكندرية لتحقيق ضربة درامية ضد الحركة العمالية حيث تم أعدام اثنان من قادة لإضراب شنقا في فناء المصنع وحظر نشاط الشيوعيين،ومنعت الإضرابات. بعد ذلك بدأ ناصر حملة انتقامية ضد مؤيديه الشيوعيين ملقيا فى السجون كل يساري معروف في البلد تقريبا.

حتى بعد ضرب رفاقهم حتى الموت أو تركهم يموتون بسبب غياب الرعاية الطبية، واصل الستالينيون دعمهم السياسي لهذا الحاكم البونابارتي بتصفية حزبهم رسميا والأنضمام إلى حزب ناصر, الاتحاد الاشتراكي العربي في عام ١٩٦٥. لقد ضحَّت الأحزاب الستالينية عبر الشرق الأدنى وشمال أفريقيا بقواعدها البروليتارية على مذبح القومية البورجوازية مرتكبون بذلك خيانة ضد فرص تاريخية للثورة الاشتراكية. لقد فتح ذلك الباب أمام الأصوليين الإسلاميين الرجعيين مثل الاخوان المسلمين فى مصر, العدو اللدود للنساء والأقباط والعلمانيين واليساريين, للتظاهر بأنهم المعادين الصامدين الوحيدين للأمر الواقع الذي لا يطاق. بينما عانى الإخوان المسلمون من القمع الشديد إلا أنه تم التغاضي عنهم بل تم تشجيعهم أحياناً من قبل الأنظمة المصرية المتعاقبة. وكثيراً ما أسكت مبارك مناوئيه بالزعم بأنه إن لم يكن هو فإن الإخوان سيحكمون مصر.

لا يلعب الأخوان المسلون دوراً يذكر في الحركة العمالية ولكنهم مترسخون بين الفئات الدنيا المسحوقة من البروليتاريا في الأحياء الفقيرة وبين المهنيين والفئات البورجوازية الصغيرة الأخرى. ان كثيرا من المتظاهرين يقولون اليوم أنهم سيعارضون وصول الأخوان إلى السلطة. ومع ذلك، يشير ظهور الأخوان في المظاهرات إلى خطرأن يجدوا آذاناً صاغية بين الجماهير اليائسة. ان الأحداث الإيرانية في عامى ٧٨-١٩٧٩, والتى نجح فيها رجال الدين الشيعة بقيادة آية الله الخميني في إخضاع موجة عارمة من المعارضة للشاه الممقوت, بما فى ذلك منظمات الطبقة العاملة, لأجندتها الرجعية, سلطت تلك الأحداث الضوء على الحاجة لمكافحة القوى الإسلامية الرجعية سياسياً. فبعد أن حصلَ الخميني على تأييد كل المجموعات اليسارية في إيران تقريبا, أطلق موجة إرهاب قاتلة ضد العمال المناضلين واليساريين والأكراد والنساء السافرات والمثليين. فى موقف فريد فى اوساط اليسار أعلن النهج الأسبارتاكي الأممي، سلف العصبة الشيوعية الأممية: "يسقط الشاه!" "لا تنحنوا للخميني!" "نحو ثورة عمالية في إيران!" فيما يخص مصر اليوم نقول: "يسقط مبارك!" "لا للبرادعي والإخوان المسلمين!" "العمال إلى السلطة!"

من المهم حيويا بالنسبة لليساريين والمناضلين البروليتاريين دراسة مثال الحزب البلشفي الذي وفر القيادة الضرورية للطبقة العاملة في روسيا في عام ١٩١٧. بظهور السوفيتات (مجالس العمال) عند سقوط القيصر في ثورة فبراير، رفع بلشفيو لينين شعار: "كل السلطة للسوفيتات،" معارضين أي دعم سياسي للحكومة البورجوازية المؤقتة. ووسط المعارضة المتصاعدة لمذبحة جنود الطبقة العاملة والفلاحين في الحرب العالمية الإمبريالية الأولى، امتدت السوفيتات إلى الفلاحين الذين كانوا في حالة تمرد مفتوح ضد ملاك الأراضي، وإلى داخل الجيش. تحت تأثير الطبقة العاملة المنظمة قامت مجالس الجنود بتوجيه صفوف العمال والفلاحين في الجيش ضد فئة الضباط البورجوازيين. بعد ثورة أكتوبر التي قادها البلاشفة أصبح مندوبوا سوفيتات العمال والفلاحين والجنود أجهزة السلطة الحكومية البروليتارية الجديدة.

كما تم توضيحه بتفصيل في المقال المرافق حول تونس (يمكن الأطلاع على ذلك المقال باللغة الأنجليزية فى صحيفة "طليعة العمال" العدد رقم(٩٧٣ بتاريخ ٤ فبرائر) يجب على الماركسيين الثوريين، بناءً على نظرية تروتسكي حول الثورة الدائمة ، ان يطرحوا مطالب انتقالية تربط تطلعات الجماهير الديموقراطية بالنضال من أجل السلطة البروليتارية وامتدادها الدولى. ان العصبة الشيوعية الأممية تسعى لبناء نواة حزب لينيني تروتسكي، الأداة التي لا غنى عنها لانتصار الثورة البروليتارية, من داخل خميرة الأنتفاضة فى مص

International Communist League
(Fourth Internationalist)

International Center: Box 7429 GPO, New York, NY 10116, USA
Web site: www.icl-fi.org

Spartacist League of Australia	Spartacist League, GPO Box 3473 Sydney NSW 2001, Australia
Spartacist League/Britain	Spartacist Publications PO Box 42886 London N19 5WY, Britain
Trotskyist League of Canada/ Ligue trotskyste du Canada	Spartacist Canada Publishing Assoc. Box 6867, Station A Toronto, Ontario M5W 1X6, Canada
Spartakist-Arbeiterpartei Deutschlands	SpAD, c/o Verlag Avantgarde Postfach 2 35 55 10127 Berlin, Germany
Ligue trotskyste de France	Le Bolchévik, BP 135-10 75463 Paris Cedex 10, France
Trotskyist Group of Greece	Box 8274, Athens 10010, Greece
Spartacist Group Ireland	PO Box 2944, Dublin 6, Ireland
Lega trotskista d'Italia	Walter Fidacaro, Ufficio Milano Cordusio Casella Postale 1591, 20123 Milano (MI), Italy
Spartacist Group Japan	Spartacist Group Japan PO Box 49, Akabane Yubinkyoku Kita-ku, Tokyo 115-0091, Japan
Grupo Espartaquista de México	Román Burgos, Apdo. Postal 006 Admón. Postal 13, CP 03501 México, D.F., Mexico
Spartakusowska Grupa Polski	Jan Jedrzejewski, Skr. 148 02-588 Warszawa 48, Poland
Spartacist/South Africa	Spartacist, PostNet Suite 248 Private Bag X2226 Johannesburg 2000, South Africa
Spartacist League/U.S.	Spartacist League, Box 1377 GPO New York, NY 10116, USA

"Egypt: Mass Upheaval Challenges Dictatorship," translated from *Workers Vanguard* No. 973 (4 February 2011)